الفصل الخامس

الأوديسا

تلخيص وتحليل ونقد

الأوديسا قصيدة فاتنة كالإلياذة ، وقد بلغت كل منهما فى بابها حد السحر المعجز ، ولكن الأوديسا أصغر من الإلياذة حجماً ، إذ أن أبياتها لاتزيد على اثنى عشر ألف بيت إلا قليلاً ، وموضوعها يختلف كل الاختلاف عن موضوع سالفتها ، فهو يروى قصصاً ساحرة وأحداثاً أسطورية وقعت لأحد أبطال الهيلين إبَّان عودته إلى بلاده بعد انتصاره فى حرب تروادة ، وهو « أوديسّوس » الذى خصص المؤلف قصيدته لسرد أحداثه .

ومجملها أنه بينما كان أوديسوس فى طريقه إلى جزيرته : إيثاكيه يقاسى أهوالاً صعاباً زهاء عشرة أعوام كان أفرادعصابة من الشبان ـ يطلق عليهم اسم الأدعياء ـ قد استولوا على قصره وثروته وفرضوا على زوجته الوفية أن تختار لها زوجاً من بينهم ، وفى تلك الأثناء تنصح أثينيه لابنه تيليما خوس أن يرتحل فوراً إلى پيلوس ثم إلى اسپرتا ليستطلع من ملكيهما « نِسْتور » و « مينيلاؤوس » أنباء والده ، فلا يسعه إلا النزول عند رغبتها ، وهناك يعلم أن والده لا يزال حياً ، ثم يعود أدراجه إلى جزيرته . وتشغل هذه الأحداث الأناشيد الأربع الأول التى تعنون بـ « التيلياخوسية » .

و بعد أن يعانى أوديسوس من ألوان الصعوبات وأنواع المشقات مالا طاقة باحتماله إلا لبطل عظيم مثله ، تقذف به عاصفة هوجاء إلى جزيرة الفِيَكيان فتراه « نوسيكا » ابنة ملك تلك الجزيرة فتقتاده إلى قصر والدها ، وهناك يكشف للملك عن حقيقته ، ويروى له قصته ، ويسرد عليه أحداثه مع « الكيكون » و « اللوتوفاج » و « الكِكْلوپيس » ثم

ماعاناه فى جزيرتى : الهواء وكِرْكيه ، وماتقيه لدى « الكيمِرْيان » ولدى بنات البحر الساحرة أصواتهن وما أحدق به من خطر عند مروره من بين « خارِبْديس » و « إسيليه » وفى جزيرة ثيران « هليوس » وأخيراً ما وقع له فى جزيرة كاليپسو التى كانت آخر محنه قبل هذه الجزيرة . وهكذا يحدث أوديسوس ملك الفِيَكْيان وحاشيته برحلته منذ أن افترق من مواطنيه إلى أن قذفت به الأمواج إلى جزيرتهم ، وتشغل هذه الأهوال القسم الثانى الذى عنوانه : « قصص أوديسوس » وهو من الأنشودة الخامسة إلى نهاية الأنشودة الثانية عشرة .

و بعد هذا يبحر على إحدى سفن الفيكيان ، فيصل — على غير علم منه — إلى مسقط رأسه ، وهناك يعلم من الإلاهة أثينيه أنه الآن فى إيثاكيه ، فلا يسعه إلا أن يكشف عن شخصيته لابنه وحده ، ثم يعود إلى التخفى ويذهب إلى قصره فى أثمال المتسولين يصحبه أحد رعاته المخلصين الخيرين دون أن يعرف حقيقة أمره . وحينئذٍ نشهد عدداً من المناظر الوقحة التى تبدو من الأدعياء ، ثم يلى ذلك كشف أوديسوس عن نفسه لخلصائه من أتباعه وانتقامُه من الأدعياء ، ومعاقبتهُ الخادمات الخائنات اللواتى أذَعْنَ سر حيلة سيدتهن ثم إظهاره زوجته على حقيقة الأمر ، ثم ارتحالُه إلى حيث يقيم والده الشيخ ، وعلمهُ بتألب أنصار الأدعياء وأقاربهم عليه ، و بتكتلهم جميعاً ضده ، وفى النهاية نشاهد أثينيه تعمل على إتمام الصلح فتقر بهذا التصرف الأمن وتعيد السكينة والاطمئنان . وتستغرق هذه الأحداث القسم الثالث من الأوديسا ، وهو من الأنشودة الثالثة عشرة إلى الأخيرة ، وعنوانه : « انتقام أوديسوس » .

هذا هو مجمل خاطف لتلخيص الأوديسا ، أما إجمالها فى شىء من البسط فهو فيما يلى :

(١) المجموعة الأولى أو التيليماخوسية[1]

من الأنشودة الأولى إلى الرابعة :

تعنون الأناشيد الأربع الأول من الأوديسا ـ كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ـ بعنوان : التيليماخوسية لأن تيليماخوس بن أوديسوس هو بطلها الذى يلعب أهم أدوارها ، ويشغل أبرز مواقف حلولها وارتحالها ، ويبدو على مسرحها ـ بفضل أثينيه ـ قوياً صبوراً كتوماً معتزاً بنفسه ، رغم صغر سنه وقلة تجاربه ، وإن كان المؤلف لم يغفل عن أنه لا يزال فى طليعة العمر وربيع الحياة ، فجعل يسجل ذلك تارة فى صلب أبيات أناشيده ، ويثبته تارة أخرى فى الفراغ الذى يفصل بين تلك الأبيات تاركاً إدراكه إلى فطنة القارىء أو السامع واستنباطه .

ومهما يكن من الأمر فإننا سنحاول هنا أن نلم بأحداثها إلماماً نأمل ألا يكون مملاً لإفراطه ، ولامخلاً لتفريطه ، وأن يقوى على تقديم صورة كافية للإحاطة بالجوانب الجوهرية من هذه الدرة الساطعة .

إذا بدأنا نطالع الأنشودة الأولى ألفينا المؤلف يفتتحها باستلهام عرائس الشعر كما فعل فى الإلياذة ، ثم يُجمل حوادث أوديسوس وماعاناه فى أسفاره ، ثم يبدأ تفاصيل قصته فيحدثنا أن كل أبطال حرب تروادة الذين جمعتهم المعارك قد تفرقوا فمات منهم من مات ، وعاد إلى وطنه من بقى حيا . وبعد ذلك يصور لنا أوديسوس عائداً إلى وطنه فى شمال بلاد الهيلين وقد تم له النصر وسعد برؤية مدينة الأعداء تهوى تحت ضربات مواطنيه لاسيما وأن له فى هذا الانتصار يدا بيضاء طائلة بفضل تبصره ومقدرته على الخدع الحربية ، وشجاعته النادرة ، ولكنه لايكاد يستمتع بلذة هذا الفوز الذى ظل يصبو إليه عشرة أعوام كاملة

---

(١) إعتبر فريق من النقاد هذه المجموعة أحدث مجموعات الأوديسا وضعاً ، ولهذا أطلقوا عليها اسم المجموعة الثالثة ، فليتنبه إلى ذلك عند قراءة نقدهم فى الفصل السادس .

حتى يضل بسفنه فوق صفحة البحر وتتقاذفه الأمواج من جزيرة إلى جزيرة ، وتحدق به الأحداث الرهيبة التى سنقف على تفاصيلها فى المجموعة الثانية والتى كان أخطرها على حياته وأشأمها على حظه فقؤه عين الـكـكلوپيس بن پوسّيذون إلاه البحر إذ أنه لاينتهى من اقتراف هذه الفعلة حتى يتحداه هـذا الإلاه ويعانده ويذيقه شقاء طويلا وعذابا مريراً فى عدة جزر ثم يقذف به فى جزيرة « كالِپسو » إحدى إلاهات البحر الصغيرات فتعتقله عندها زمنا طويلا ولا ترق لتوسلاته أو تلين لتضرعاته ، وإذ ذاك يعطف عليه الآلهة إلا « پوسّيذون » فانه يصر على حقده عليه ، غير أن أثينيه تنتهز فرصة غياب هذا الإلاه الأخير وتتوسط له عنـد زوس فتنال موافقته على إرسال « هِرْميس » فى الحال إلى « كالِپسو » حاملا أمره بفك اعتقال أوديسوس ، وبعد ذلك يتغير المنظر فينتقل بنا المؤلف إلى جزيرة « إيثاكيه » حيث نرى جماعة من الشبان الوقحاء يحتلون قصر أوديسوس طمعاً فى زواج « پينيلُپيا » الوفية الحـكيمة ، ويسرفون فى الاستمتاع بثروة زوجها الغائب وابنها الصغير دون أن تملك الدفاع عن نفسها أو الاحتفاظ بمالها ، ثم نشاهد أثينيه تتدخل فى الأمر وتتشكل بصورة الملك منتيس أحد أصدقاء أوديسوس العقـلاء ، وتنصح لتيليماخوس أن يجمع الشعب ويشكو إليه اعتداء هؤلاء الأدعياء على ثروته ، وانتهاكهم حرمة منزله ، لا لجريمة اقترفها ولا لذنب جناه إلا لأنه صغير ضعيف ، وتطلب إليه ـ فى حالة عدم ارعوائهم عن غيهم ـ أن يعد سفينة ويبحر إلى مدينتى پيلوس واسپرتا ليستطلع من نِستور ومينيلاؤوس أنباء والده . وعلى أثر ذلك نشاهد أولئك الأدعياء يقيمون فى القصر مأدبة فخمة يتمثل فيها البذخ والإتلاف ، وتتبادل فيها بين تيليماخوس وأولئك الشبان عبارات يكون من نتائجها تصريحه لهم باعتزامه دعوة الشعب غدا للاحتكام إليه . وبهـذا تنتهى الأنشودة الأولى .

فاذا كانت الأنشودة الثانية فنحن فى جمعية الشعب نشاهد تيليماخوس يتحدث عن عنف أولئك الأدعياء واغتصابهم ثروته ونرى عددا من أصدقائه يناصرونه فى مطلبه ، ولـكن هذه المناقشات تنتهى بالشغب والفوضى ورفض كل مطالب تيليماخوس ولا يسمح

له حتى بسفينة يبحر بها للتنقيب عن والده فيغادر الاجتماع آسفا محزوناً و يسير منفرداً على شاطىء البحر . وهناك يتوسل إلى أثينيه أن تعينه على نكبته فتبادر إلى معونته ، وتتعهد بأن تحضر له السفينة الضرورية ، وأن تسهل له سفره وتخفيه عن أعين الأدعياء حتى لا يحولوا دون هذا السفر .

فاذا كانت الأنشودة الثالثة فنحن فى مدينة «پيلوس» حيث يصورلنا المؤلف وصول «تيليما خوس إليها ترافقه» أثينيه وهى لاتزال فى صورة «مَنْتور» . وعلى أثر وصولها يستقبلهما الملك «نِسْتور» خير استقبال و يكرم وفدهما، ثم يصف المؤلف لنا احتفالا كان نِستور مشغولا باقامته للإلاه «پوسيذون» . وعلى أثر ذلك يقدم تيليماخوس نفسه إلى الملك الشيخ و يسأله عن والده فيروى له كل مايعرفه من أنباء من عادوا من ملوك الأكيان ، فيحدثه عن عودة أجاممنون واغتياله وعن رحلة «مينيلاؤوس» إلى مصر و إقامته فيها ورجوعه منها فى نفس اليوم الذى انتقم فيه «أورِسْتيس» لوالده ، ولكنه يعلن آسفاً أنه لايعلم شيئاً عن «أوديسوس» الذى يحبه لحكمته وذكائه ، ثم ينصح لتيليماخوس أن يتوجه إلى اسپرتا و يقابل مينيلاؤوس لعله يعلم شيئاً عن والده . وأخيراً يدعو الملك الشيخ ذلك الشاب أن يبيت فى قصره فيلبى دعوته . وهنا تختفى أثينيه عن أعينهما فجأة فينتبه نستور إلى وجود الإلاهة وتملأ نفسه الدهشة والإعجاب معاً ثم يطلب إلى تيليماخوس أن يكون عظيم الأمل فى الالتقاء بوالده مادامت هذه الإلاهة تحميه . وليس هذا فحسب ، بل إنه هو نفسه يبادر إلى تقديم الضحايا إليها لتشمله برعايتها . و بعد ذلك يزود الشاب بما يحتاج إليه فى متابعة سفره فيرتحل فى صباح اليوم التالى إلى اسپرتا .

فاذا كانت الأنشودة الرابعة فنحن فى اسپرتا نشاهد تيليماخوس وقد وصل إليها يتوجه إلى مينيلاؤوس فيلفيه مشغولا بتزويج ابنه «ميجابَنْتيس» وابنته «هِرْميونيه Hermionec» وإذ ذاك يصف المؤلف فخامة احتفال الزواج فيقدم إلينا بهذا الوصف لوحة لأفراح تلك العصور ومتعها ولذائذها . ولاتكاد أعين «مينيلاؤوس» و «هيلينيه» تقع على هذا الشاب حتى يعرفاه فيرحبا به أعظم ترحيب و بعد ذلك يأخذان فى التحدث عن أوديسُّوس فى شىء

من الحماس ويرويان عنه قصصاً مليئة بالشجاعة والحكمة ، ويقول مينيلاؤوس إنه قد عرف أفكار كثير من الأبطال وحكمتهم ، وجاب كثيرا من البلاد ، ولكنه لم يعرف قلباً يوازى قلب أوديسوس الصبور .

وبعد أن يستريح تيليماخوس ينبئه مينيلاؤوس بما حدثه به الإلاه پُرُتيوس فى جزيرة فاروس أثناء رحيله إلى مصر . وهو حديث طويل يتناول عدداً من مشاهير الأكيان . ومما جاء فى هذا الحديث عن أوديسوس أنه محجوز بالقوة فى جزيرة الإلاهة البحرية « كالپسو » فلا يكاد تيليماخوس يسمع هذا حتى يصمم على العودة إلى قصره ، ولكن المؤلف يتركه فى اسپرتا ويعود بنا إلى إيثاكيه فيحدثنا أن الأدعياء حين يعلمون بغياب تيليماخوس يُعِدُّونَ له فخاً ليسقط فيه على أثر عودته ، غير أن الجوال « ميدون » يسمع حديث هذا الفخ فينبئ به « پينيلُپيا » فيسودها القلق على ابنها وتتوسل إلى أثينيه أن تحميه فترسل إليها حلماً ترى فيه كأن شقيقتها تطمئنها على مصير ابنها وتنبئها بأن أثينيه قد أخذتها الشفقة عليها فأرسلتها لطمأنينتها وإذ ذاك تسألها پينيلُپيا عن زوجها أوديسُّوس فترفض أن تجيبها .

وبهذا تنتهى الأنشودة الرابعة .

ويرى النقاد أن القديم من هذه الأناشيد هو من مبدئها إلى صدور أمر زوس إلى كالپسو بفك اعتقال أوديسوس . أما الانتقال إلى « إيثاكيه » وما يعقبه إلى نهاية الأنشودة الرابعة فهو عندهم مضاف فى عصور متأخرة ، وهم يلاحظون على هذا القسم المحدث أن أسلوبه شعرى رشيق سهل ولكنه تنقصه القوة والتركيز أى أنه كثيراً ما يؤدى معانى قليلة بألفاظ كثيرة ، وهو أحياناً يعوزه الانسجام ودقة التصوير . فمثلاً عند ما يصور لنا إتلاف الأدعياء فى ثروة أوديسوس لا نراه يضع على لسان تيليماخوس ألفاظاً جارحة ، بل لا نكاد نحس فى نفسه بالثورة التى تتلاءم مع فداحة الحالة .

(ب) المجموعة الثانية أو أحداث أوديسوس[1]

١ ـ من الأنشودة الخامسة إلى الأنشودة الثامنة

إذا كانت الأنشودة الخامسة فنحن أمام أمر زوس الذى رأيناه فى الأنشودة الأولى يصدره إلى « كالِپسو » بفك اعتقال أوديسوس ، و بعد أن يعيد المؤلف هذا المنظر ينتقل بنا إلى جزيرة « أوجيجى » التى تقيم فيها تلك الإلاهة فيصف لنا جمالها ورشاقتها ثم يصور لنا أوديسوس جالساً على الشاطئ فى عزلة ينظر باحتقار إلى كل ما يحوطه من فتنة تسحر العين ، و إغراء يجذب القلب ، و يرسل العبرات مدراراً « لا يرقأ له دمع ، وحياته الحلوة يضنيها التأوه والأنين على العودة لأنه لم يكن يحب تلك الإلاهة » و بعد ذلك يرسم لنا المؤلف ألم كالپسو ولوعتها وشدة وقع هذا الأمر بمفارقة أوديسوس على نفسها . وأخيراً لا يسعها إلا أن تدنو منه وتنبئه بأنه حر ، وأنه يستطيع منذ الآن أن يعد العدة لرحيله . ولما كان أوديسوس بفطرته حذراً فإنه يرتاب فى كلامها فتقسم له بكل محرجة من الأيمان أنها صادقة ثم تحاول أن تصرفه عن هذا الرحيل فتبين له مقدار الندم الذى سيلم بنفسه بعد سفره ، وتصور له ما سيفقده لو أصر على الرحيل ، وتشرح له فى إسهاب المزايا التى تمتاز بها عن « پينيلُپيا » زوجته فى الجمال وخفة الروح وغير ذلك .

وهنا يرسم المؤلف أوديسوس على حقيقته فيظهره لنا هادئاً يجيب كالپسو على إغراءاتها فى سكون بقوله : نعم أنا أعرف أن العودة شاقة وخطرة ، وأعرف أن پينيلپيا ليست إلا امرأة ، ولا يمكن أن توازن بإلاهة ، ولكن سرورى الأوحد ـ رغم كل هذا ـ هو أن أعود إلى مسقط رأسى ،فتفهم الإلاهة أنه لا يرق لتوسلاتها ، ولا يفتتن بإغراءاتها وأنه مُصِرٌّ على فراقها فتغادره والأسى يملأ فؤادها ، فيشرع فوراً فى جمع قطع خشبية ويُعِدّ منها رَمَثاً ثم يبحر عليه منفرداً ، وحينئذ يشعر بوسيذون أن عدوه سيفلت من يده فيبادر إلى جمع السحب ،

(١) رأى بعض النقاد أن هذه المجموعة هى أقدم أناشيد الأوديسا البدائية ، ولذلك وضعوا لها عنوان: المجموعة الأولى .

وفى الحال يقبض بكلتا يديه على خطافه ذى الشوكات الثلاث ويضرب به البحر ضربة قاسية فيقلبه رأساً على عقب فينجم عن هذا أن ينحل عقال جميع العواصف والزوابع فتهب من جميع الجهات فى آن واحد ، وفجأة يغطى البحر والأرض نقب سميك من الأبخرة فتحدق الأخطار بأوديسوس من كل جانب ، ويضحى رمثه كأنه ريشة فى مهب الأعاصير

[الصورة رقم ١١ هى تمثال أخذ عن آخر يرجع تاريخه إلى القرن الرابع قبل المسيح وقد عثر عليه فى متحف أثنه وهو يمثل بوسيدون واضعاً على خطافه ذى الشوكات الثلاث يضرب به البحر حنقاً على أوديسوس]

يظل أوديسوس قابضاً على دفة رمثه ليلاً ونهاراً سبعة عشر يوماً ، و بعد هذه المدة يلمح على بعد جزيرة الفيكيان فتطمئن نفسه ويقوى أمله ، ولكن بوسيذون عدوه اللدود يشعر بأنه سينجو فيرسل إليه عاصفة هوجاء لا يرى أوديسوس بداً من أن يقاومها بكل قوته ، غير أن هذه المقاومة تكاد تضيع عبثاً لولا معونة الإلاهة البحرية « ليكوثيه » و « أثينيه » اللتين يصل بعنايتهما إلى شاطئ نهر ، ولا يكاد يصل حتى يهرع إلى غابة هناك ليختفي فيها لحرصه واحتياطه ، و إذ ذاك تنيمه أثينيه ليستريح من كل هذا العناء الطويل .

فإذا كانت الأنشودة السادسة فالمؤلف ينتقل بنا من البحر وعواصفه، وأهواله ومخاطره ، وتأرجح أوديسوس بين اليأس والأمل إلى شاطىء جميل وغابة بديعة . ثم يحدثنا أن أثينيه توحى إلى « نوسيكا » ابنة « ألكينوؤوس » ملك هذه الجزيرة فى حلم أن تذهب إلى شاطىء النهر لتغسل ملابس مع رفيقاتها فتفعل ، و بعد أن تنتهى مهمتهن يأخذن فى اللعب والقفز والصياح ، فيوقظ ذلك أوديسوس من نومه فتراه تلك الفتاة وتفر صاحباتها منذعرات وتتحدث إليه وحدها فيبدو وديعاً محتشماً فى تصرفاته ، فصيحاً فى محادثته ، تلوح عليه العزة والكرامة إلى حد أنه لايسمح بكشف الستار عن اسمه ، وحينئذ تقدم إليه الأميرة طعاماً ولباسا ، و بعد أن يلبس ويأكل تطلب إليه أن يتبعها على بعد وتشرح له مايجب عليه فعله للوصول إلى قصر والدها الملك ، ثم تتوجه صوب المدينة ويقف هو لحظة يدعو فيها أثينيه حاميته العظمى .

فإذا كانت الأنشودة السابعة فنحن فى المدينة نشاهد أوديسوس يبحث عن قصر الملك فتظهر له أثينيه فى صورة فتاة فيسألها عن ذلك القصر فتدله عليه ثم تنصرف ولا تكاد عينه تقع عليه حتى يعجب بجماله ثم يدخل إلى إحدى ردهاته فيجد الملكة جالسة فيركع أمامها ويتوسل إليها أن تعينه على العودة إلى وطنه ، ثم يجلس فى مكان متواضع فيبهر الجميع أدبهُ وفصاحته وفهمه أساليب اللياقة التى تتبع فى البيئات العالية ، ويحسون أنهم أمام شخصية ممتازة فيحفلون به ، ويجلسه الملك فى المكان المعد لابنه على المائدة . و بعد تناول الطعام تلمح الملكة أن الملابس التى يرتديها هى من ملابسهم ، فتستوضحه قصته فيروى لها ماوقع له منذ نزوله

فى جزيرة كاليپسو إلى أن قذفت به الأمواج على جزيرتهم ثم يثنى على مقابلة « نوسيكا » الكريمة الحكيمة ولكنه لايشير إلى اسمه ، ولا إلى وطنه ، ولا إلى حرب تروادة بشئ ما ، فيعده الملك بأنه سيوصله إلى وطنه مهما كان بعيداً متى قضى الوقت اللازم لراحته واستجمام قوته .

فإذا كانت الأنشودة الثامنة فنحن فى غد اليوم السالف فى مجلس مؤلف من علية « الفيكيان » يتناقشون فى معونة أوديسوس فيقر رأيهم على منحه إياها . وعلى أثر ذلك نشاهد الملك « ألكينؤوس » يقيم مأدبة أخرى يدعو إليها « ديمودوكوس » وهو أشهر الشعراء الجوالين الذين منحتهم السماء مايسحرون به الأرواح ، ويفتنون القلوب من أغنيات عذبة وأناشيد أخاذة . وعلى أثر انتهاء المأدبة ينهض ذلك الشاعر وينشد مقطوعة تروى

[الصورة رقم ١٢ مأخوذة عن متحف اللفر ، وهى تمثل إحدى الفتيات مقدمة كوباً من الشراب إلى أحد المشاهدين لحفلة من الحفلات التى تفيض بها مناظر هوميروس كمنظر حفلة الفيكيان التى أقاموها لأوديسوس مثلا .]

مناقشة حادة بين « أخيلوس » و « أوديسوس » يتبادلان فيها الشتم والسباب على مسمع من « أجامنون » الذى جعل يبدى سروره بسماعه بطلين من أبطال الأكيان يتشاتمان .

وإذ يسمع أوديسوس هذه الأنشودة يخفى رأسه فى معطفه ويبكى من شدة الانفعال ، وهنا لايسع الملك إلا أن يأمر بوقف الإنشاد واستبداله باللعب فيساهم فيه أوديسوس فتكون هذه المساهمة فرصة لإظهار رفعته وتفوقه على جميع أبطال الفِيَكْيان . وبعد انتهاء اللعب يبدأ الرقص فيعجب أوديسوس فيما بينه وبين نفسه بخفة حركات الشباب ثم يعود الشاعر إلى الغناء فينشد غرام « أريس » و « أفروديتيه » . وفى المساء تقام مأدبة أخرى فيطلب أوديسوس من الجوال أن يغنى لهم أنشودة جواد ترواده ، وقصة سقوط المدينة التى هوت بفضل حيلة أوديسوس ولا يكاد الشاعر يمعن فى الترنم بتلك الأنشودة حتى يعود أوديسوس إلى إخفاء وجهه وإلى الإجهاش بالبكاء . وهنا يحمل حب الاستطلاع الملك « ألكينوؤوس » على وقف الإنشاد مرة أخرى ، ثم يطلب إلى أوديسوس أن ينبئهم بشخصيته ويروى لهم ماوقع له من الحوادث . وبهذا تنتهى الأنشودة الثامنة .

يرى النقاد أن هذه الأناشيد الأربع الأخيرة هى من الأوديسا القديمة وليس فيها من المضاف فى العصور المتأخرة إلا قليل مثل مقطوعة غرام « أريس » و « أفروديتيه » التى تحتوى لذعاً وسخرية بالآلهة لايتفقان مع الإجلال الذى تفيض به أناشيد المؤلف الأول نحو الآلهة .

٢ ـ من الأنشودة التاسعة إلى الأنشودة الثانية عشرة :

تحتوى هذه الأناشيد الأربع الآتية على حوادث أوديسوس التى وقعت له بعد إبحاره من تروادة . وإليك مجمل هذه الحوادث :

إذا كانت الأنشودة التاسعة فنحن لا نزال فى حفلة الملك « ألكينوؤوس » الذى يتحرق إلى سماع قصة ضيفه الممتاز . وعلى أثر ظهور هذه الرغبة منه يبدأ أوديسوس بسرد روايته فيقول :

أنا أوديسوس بن « لاإرْتيس » ملك « إيثـاكيه » ثم يحدثهم أنه لايكاد يغادر ترواده ويبحر بسفنه حتى يقذف به الهواء بين شَعْب « كيكون » فتحتدم بينهم معركة ينتصر عليهم فيها ، ثم يرى أن الحكمة تقضى بحمل الغنائم والأسلاب والإبحار حالا من تلك البلاد فينصح لأصحابه بذلك ، ولكنهم لايستمعون لنصحه ويظلون فيها غير آبهين للنتائج ، وإنهم لكذلك إذ بأولئك الأعداء يستردون قواهم ويستجمعون شتاتهم ويفاجئون أوديسوس وأصحابه فيقتلون منهم ستة ثم يبحر الباقون مع أوديسوس ولايكادون يسلمون أنفسهم للبحر حتى تباغتهم عاصفة هوجاء فتقذف بهم فى أرض « لوتوفاج » وهى أرض تنبت فيها زهرة اللوتوس التى من يذوقها يفقد ذاكرته كلها فيأكل منها بعض أصحاب أوديسوس على غير علم فينسون ماضيهم ولايذكرون حتى بلادهم وأصدقاءهم ويرفضون أن يبحروا معهم . وهنا يضطر الآخرون إلى أن يسحبوهم بالقوة ويربطوهم فى مقاعد السفن . وعلى أثر ذلك يغادرون هذه البلاد المنحوسة ويلقون بأنفسهم من جديد بين الأمواج فتقذف بهم إلى جزيرة « الـكيكلوپيس » فيتجه أوديسوس فوراً فى وفد من أصحابه إلى رئيس الـكيكلوپيس فى كهفه ويقدم إليه الهدايا سيراً على سياسته التى تنشد المجاملة دائماً ، ولكنه لايكاد يصل إليه حتى يمد يده فيتناول اثنين من أصحابه ويسحق رأسيهما ثم يلتهم جسميهما فى شراهة ونهم ، فيوقن أوديسوس أن الحظ قد خانه فى هذه المرة أيضا ، ولكنه لايفقد هدوءه ويلجأ إلى حِيَلِه وحكمته فيسكر الـكيكلوپيس ثم يضع فى عينه الوحيدة حديدة محماة فيقتلعها وينجو ببقية أصحابه فيركبون سفنهم ويبحرون فرحين بنجاتهم مثنين على حكمة رئيسهم وتبصره . (انظر الصورة رقم ١٣ فى صفحة ٩٤)

ويعتقد النقاد أن هذه الأنشودة التاسعة هى إحدى الأناشيد البدائية فى الأوديسا لأنها تمتاز بما امتازت به الأناشيد القديمة من القوة والعظمة وانسجام أجزاء الرواية فيها .

فإذا كانت الأنشودة العاشرة فإننا نشاهد أوديسوس فى جزيرة « إيؤولوس » إله الرياح منذ شهر ، ونرى هذا الأخير يعطف عليه ويعتزم إزالة أسباب شقائه فيجمع العواصف

[ألصورة رقم ١٣ مأخوذة من متحف الڤاتيكان ، وهى تمثل أوديسوس يقدم كأساً من الخمر إلى السيكلوپس ليسكره و يبدو عليه مظهر الاطمئنان والجلال الممتزج بالدهاء]

لرديئة و يسجنها فى قربة و يقدمها إلى أوديسوس و ينبئه أنه مادامت هذه القربة مقفلة فلن يصطدم بأية عاصفة فيسر أوديسوس و يشكر الإله و يبحر . ولانزال سفنه سائرة حتى

يروا بلادهم رأى العين ، وهنا يغلب أوديسوس النوم فيظن جماعة من رفاقه أن هذه القربة تحتوى شيئاً نفيساً يستأثر به أوديسوس دونهم فينتهزون فرصة نومه و يفتحونها فتنطلق منها العواصف السيئة وتحيط بهم من كل جانب وتظل تقذف بسفنهم يميناً وشمالا حتى تلقى بها من جديد إلى جزيرة « إيؤولوس » غير أن ذلك الإلاه يعتقد هذه المرة أنه لولا غضب الآلهة عليهم لما حدث لهم كل هذا فيطردهم من جزيرته ، فيلقون بأنفسهم مرة أخرى بين أحضان الأمواج فتقذف بهم على جزيرة « الستريجون » أو أكلة اللحوم البشرية فيهجمون عليهم هجوماً عنيفاً و يأخذون فى تمزيق أجسامهم و يلتهمون لحومهم حتى لا يبقى منهم إلا نفر قليل يستطيعون النجاة بحيلة أوديسوس وذكائه ، وهنا يسرعون إلى إحدى سفنهم و يبحرون بها على عجل فتأخذ الأمواج فى تقاذفهم حتى تلقيهم على جزيرة « كركيه » الساحرة فيتوقف عن الاندفاع إلى التغلغل فى جزيرتها قبل أن يعرف عنها شيئاً و يرسل إليها وفداً من رفاقه فلا يكاد هذا الوفد يصل إليها حتى يختفى رئيسه عنها و يقدم إليها بأمر أوديسوس بقية الأعضاء ولا توشك عينها أن تقع عليهم حتى تحولهم جميعاً إلى خنازير . و إذ يرى الرئيس ذلك يعود مسرعاً إلى أوديسوس فينبئه بما حدث . و بينما هو يفكر فيما ينبغى أن يفعل إذ بـ « هِرْميس » رسول الآلهة يوافيه فيحصنه هو ورفاقه الباقين بما يحول بين السحر و بين التأثير فيهم . و بهذا يستطيعون أن يتجهوا إلى الساحرة آمنين مطمئنين فلا تتمكن من تحويلهم إلى حيوانات ، ولكنها تسلك بإزاء أوديسوس سبيلا أخرى وهى سبيل التأثير فى قلبه وسلبه التفكير فى العودة إلى بلاده و إشعاره بالسعادة فى هذه الجزيرة ، فيظل على هذه الحال لا يفيق إلى نفسه ولا يحس بشوق إلى وطنه سنة كاملة ، ولكن رفاقه إذ يطول عليهم الزمن ينبهونه إلى واجبه فيفطن إلى ما حدث منه و يستأذنونها فى الرحيل فتأذن لهم وتعينهم بقدر المستطاع ، وتنصح لأوديسوس أن يتوجه رأساً إلى مملكة الموتى لأنه لن يظفر بالعودة إلى بلاده إلا بعد أن يذهب إلى هذه المملكة ، ليسأل فيها شبح العراف « تيرِسْياس » عما يقع له من الحوادث ، إذ أن هذا الشبح هو وحده الذى منحته « پِرْسيفُنيا » زوجة « أديس » إلاه الجحيم الذكاء والعرفان فيدعونها و يبحرون .

أما الأنشودة الحادية عشرة فتعنون بعنوان « ألضحية للموتى » ومجملها أن أوديسوس يتبع نصيحة كِرْكيه الساحرة فيعتزم — على أثر مغادرته جزيرتها — الذهاب إلى مملكة الموتى ويظل سائراً حتى يصل إلى نهاية الأرض حيث يوجد مدخل هذه المملكة ، وهنا يُعِدُّ الضحية وينحرها فيسيل دمها القاتم الذى يجذب أشباح الموتى ولا يكاد يفعل حتى

[الصورة رقم ١٤ مأخوذة عن رسم على وعاء أثرى ، وهى توجد فى دار الكتب الوطنية بباريس وتمثل أوديسوس مستلا سيفه من غمده ليحفر به الحفرة التى يختزن فيها دماء الضحية بعد نحرها وإلى جانبه صاحباه : أوريلوخوس ، وبيريميديس بعد أن حملا الضحية]

تنهال عليه تلك الأشباح أفواجا فيرى « البينور » أحد أصحابه وقد مات فى جزيرة كركيه فيتحدث إليه ثم يلمح والدته « أنْتِكْلِيا » التى تركها حية عندما توجه إلى تروادة فتصطدم فى نفسه عاطفة الاشفاق على شبح والدته بعاطفة الحرص على مصلحته فتتغلب عليه الثانية فينحى شبح أمه ليبقى على الدم لشبح « تيرِسْياس » العراف . وإذ ذاك يصل هذا الأخير فيشرب من الدماء ثم ينبئ أوديسوس بأن « بوسيذون » هو الذى يتعقبه

بسخطه وحقده لأنه قلع عين ابنه الكيكلوپس ثم ينتبأ له بكثير من البأساء التى لاتزال تنتظره قبل عودته إلى بلاده ، ولكنه لا يسمى من هذه الصعوبات إلا واحدة ستعترضه فى جزيرة « ثرينكييه » المأهولة بقطعان الإلاه « هِلْيوس » . غيرأنه يبشره بأنه سيعود بعد هذه المحن إلى « إيثاكيه » ثم يرشده إلى الضحايا التى يجب عليه أن يقدمها إلى پوسيذون بعد عودته لتهدئه . وعلى أثر انتهاء مهمة هذا الشبح ينسحب ثم تتقدم والدته فتشرب وتتحدث معه حديثاً يصفه النقاد بأنه من أبدع فصول الأوديسا . و بعد هذا الحديث تتعاقب عليه شهيرات البطلات الهيلينيات من سيدات وفتيات ، ولكن المؤلف هنا يصور لنا أوديسوس على الحياد ولا يبدى بإزاء مايشاهده أية عاطفة . و بعد انتهاء أولئك البطلات يجىء دور رفاق أوديسوس فى القتال من أبطال الأكيان فيرد إلى الدماء أجاممنون وأخيلوس وأياس ، وإذ ذاك يرسم لنا المؤلف صورة مؤثرة للحزن العميق والأسى المبرح اللذين يملكان قلوب أولئك الأبطال الشجعان ، ويصف لنا لوعتهم على فراق من كانوا يحبونهم على الأرض ، وأسفهم على صِلاتهم السابقة وتعلقهم بالحياة . وما أبدع تلك الموازنة المؤثرة التى يعقدها أجاممنون بين وفاء « پينيلُپيا » زوجة أوديسوس وخيانة « كيليتمِنْستريه » زوجته ثم يسأل أوديسوس فى حسرة عن أنباء ابنه الصغير أورِسْتِس ، ولكن دون جدوى ، إذ ليس المسئول أعلم بها من السائل . و بعد صمت أجاممنون يصف المؤلف لوعة أخيلوس على الحياة وصفاً يمزق نياط القلوب . وأخيراً يصور لنا « أياس تلامون » منقبضاً مكتئباً معرضاً عن أوديسوس رغم ما يوجهه إليه من عبارات لينة وألفاظ وديعة لأنه لا يزال حاقداً عليه بسبب ما وقع بينهما فى الحياة من منازعات ومخاصمات .

و بعد انتهاء هذا المنظر الفاتن يعرض علينا المؤلف شخصيات أسطورية شهيرة مثل مينوس قاضى الجحيم و تتيوس الذى نراه ممتداً على الأرض ، وسباع الطير تمزق كبده عقاباً

له على ماوجهه من إهانة إلى إحدى معشوقات زوس . و « تَنْتَالوس[١] » الذى نشاهده مقضياً عليه إلى الأبد بعذاب الجوع والظمأ رغم وجود ألذ الأطعمة وأشهى المشروبات إلى جانبه . « وسيسيفوس[٢] » الذى نراه مقضياً عليه بإصعاد صخرة كبيرة من أسفل الجبل إلى قمته ، فإذا وصل إليها انحدرت الصخرة إلى مكانها الأول ، وهكذا دواليك بلا انقطاع .

وعندما يرى أوديسوس هذه المناظر المزعجة يتملكه الفزع ويعدل عن رغبته فى إطالة الثواء بين أشباح الموتى ويكبت غريزة حب الاستطلاع فى نفسه ويقفل راجعاً إلى سفينته وبهذا تنتهى الأنشودة الحادية عشرة .

ويعتقد النقاد أن أكثر مناظر هذه الأنشودة هى من الأوديسا البدائية ، إذ تظهر فيها البساطة والعظمة الطبيعية والفخامة الخالية من التعمل والتكلف وإن كان قد أضيف إليها فى العصور المتأخرة بعض المناظر مثل منظر ظهور « أَلِپينور » الذى يظهر انتحاله بجلاء لأنه لايشبه ما بعده من مناظر الأبطال الآخرين فهو لا يشرب من الدماء كما شربوا ولا يجهل أوديسوس كما جهله الآخرون حتى والدته ، بل نرى هذا الأخير يتحدث إليه قبل مقابلة شبح تيرسْياس ، وهذ يتنافى مع حرص أوديسوس الذى دفعه إلى تنحية والدته عن دم الضحية قبل تيرسْياس . ومن هذه المناظر التى يرى النقاد أيضاً أنها مضافة منظر تعاقب شهيرات النساء الهيلينيات الذى يبدو فيه أوديسوس سلبيا لا يتحدث إلى أية واحدة منهن ولا يصف لنا شيئاً من أحاسيسه عند مرورهن به .

فإذا كانت الأنشوة الثانية عشرة ألفينا بطلنا — وقد عاد إلى جزيرة الساحرة — يقص عليها ما سمع من روح العراف ويطلب إليها النصيحة فيما يجب أن يفعل ، لكى يتجنب العقبات التى ستصادفه فى طريقه فتنبئه بأنه سيمر على جزيرة بنات البحر اللواتى كل واحدة

---

(١) تنتالوس هو ملك ليديا والسبب فى غضب الآلهة عليه هو أنهم كانوا قد وفدوا عليه يوماً فأراد أن يعرف ما إذا كانوا يعلمون الأسرار حقاً أو هم يدجلون فذبح ابنه وقدم إليهم لحمه فاستشاطوا غضباً وقضى عليه زوس بهذا العذاب المؤبد .

(٢) سيسيفوس هو ملك كورنت وكان مشهوراً بالزندقة والقسوة فقضى عليه بهذا الشقاء .

منهن نصف جسمها يشبه السمك والنصف الآخر يشبه الإنسان ، والوانى يجذبن بغنائهن كل مسافر يمر بجزيرتهن دون أن يقوى أى شخص من البشر على مقاومة هذا الغناء . ولكن جميع الذين يصغون إلى أصواتهن يهلكون لا محالة . و إذاً فالوسيلة الوحيدة للنجاة هى أن يغلقوا آذانهم بالشمع حتى لايسمعوا شيئاً ولكن يجب أن يظل واحد منهم مفتوح الأذنين لكى ينبىء رفاقه بأن موضع الخطر قد زال فينزعوا الشمع ، وأن يكون هذا الواحد أوديسوس نفسه ، ولكن على شرط أن يربطه رفاقه بأحد أجزاء السفينة ربطاً محكماً حتى لا يستطيع مطاوعة الأصوات التى ستغنى ثم تنبئه بأنه — بعد النجاة من بنات البحر —

[الصورة رقم ١٥ هى رسم على وعاء أثرى يوجد فى متحف بريتيش بانجلترا ، وهى تمثل أديسوس المخصب فى الحيل ، وقد أخذ حذره ضد بنات البحر الساحرة أصواتهن ، فأمر رفاقه أن يشدوه إلى صار السفينة لينجو من الهلاك الناجم عن مطاوعتهن افتتاناً بأصواتهن ، ويرى فى الصورة ثلاث من تلك المغويات يحلقن بأجنحتهن حول السفينة مترنمات بأصواتهن العذبة ليجذبن أوديسوس!] .

سيمر بوحشين مزعجين ولكنه سينجو منهما إذا اتبع الخطه التى ترسمها له ، فيشكرها

و يرتحل و يطيع نصائحها فيسلم هو ورفاقه من فتنة غناء فتيات البحر . غير أنه لم يكد يتخلص من هذا الخطر حتى تلقيه الأمواج أمام كائنين مرعبين أحدهما يدعى : « كارِبْديس » والثانى يدعى « إسكيليه » وقد كان هذان الوحشان قبل ذلك إلاهتين غاية فى الملاحة والجمال فافتتن بهما بوسيذون إلاه البحر افتتاناً شديداً ، فلما أحست زوجته « أنفتريتيه » ذات العينين الزرقاوين بهذا الغرام تملكتها الغيرة فأسرعت إلى تحويل الإلاهة الأولى إلى وحش مخيف يظل مدى الدهر يبتلع مياه البحر حتى يمتلىء جوفه منها ثم يقذف بها إلى الخارج ، وهكذا لايكف أبداً عن هذين العملين . ومسخت الثانية حيواناً بشعاً يلتهم كل مسافر يبتعد عن الخطر الذى يشاهده من ابتلاع الوحش الأول المياه وقذفه بها . و إذ يمر أوديسوس من بين هذين الكائنين وهو الطريق الوحيد الذى يمكنه المرور منه ليتبع نصيحة الساحرة فى هذا أيضاً فيبتعد عن الوحش الأول و يقترب من الثانى الاقتراب الذى لا مندوحة عنه والذى يترتب عليه أن يضحى فيه بستة من رفاقه يلتهمهم الوحش ، إذ ليس من ذلك مفر كما أنبأته الساحرة . و بهذا المسلك ينجو مع بقية الرفاق .

يظلون بعد ذلك تحت رحمة الأمواج حتى تقذف بهم على جزيرة « ثِرِينَكْييه » التى توجد بها ثيران « هِليوس » التى أنذرته الساحرة بهلاك جميع رفاقه إذا مسوها بسوء كما أسلفنا . و إذ يبلغون هذه الجزيرة — وكان الجوع والتعب قد نالا منهم كل منال — ينام أوديسوس فينتهز رفاقه فرصة نومه و يذبحون بعض هذه الثيران فيستشاط إلاه الشمس غضباً و يطلب إلى زوس هبوب العواصف السيئة وتحطيم السفن الباقية لهم وهلاك جميع ركابها إلا أوديسوس الذى كان زوس قد وعد بعودته فيستجاب طلبه وتتحطم السفن و يغرق جميع ركابها إلا أوديسوس فإنه يظل حياً ثم تلقيه الأمواج على جزيرة كالِپسو التى تحبه وتكلف به وتبقيه عندها رغم أنفه سبعة أعوام حتى يجيئها الأمر من زوس بالإفراج عنه كما أشرنا إلى ذلك آنفاً . وعند ما يفك اعتقاله يربط بعض الأخشاب إلى بعضها و يركبها و يظل عليها حتى تقذف به الأمواج إلى جزيرة « الفِيَكْيان » حيث هو الآن يقص على ملكها كل حوادثه .

وعندما يسمع منه هذا الملك الخيّر تلك القصة المؤثرة يزيد فى إكرامه واحترامه ويقدم إليه كثيراً من الهدايا والمنح فى السفينة التى أعدها له .

ويرجح النقاد المحدثون أن هـذه الأنشودة ليست من الأوديسا البدائية وإن كانت تشتمل على مناظر ساحرة مثل منظر جزيرة بنات البحر الذى يظهر أنه مقتطع من أسطورة قديمة جمعت الجمال إلى الرهبة ، وربطت بين الافتتان والانذعار ، وكذلك قصة « كاريْديس » و « اسكيليه » التى رسم لنـا فيها المؤلف شجاعة أوديسوس وقوة إرادته ، وامتلاكه نفسه وعواطفه ساعة المحن والأخطار ، وأبان لنـا كيف أنه اقترب من الوحش بالقدر الذى يلامس التهلـكة ولا يحققها ، ويدنو من الهُوَّة ولا يسقط فيها . وفوق ذلك فإن أسلوبها نموذج من نماذج الرشاقة والمتعة .

بهذه الأنشودة ينتهى القسم الثانى من الأوديسا وهو الذى يحوى أسفار أوديسوس ومايتعلق بهامنذمغادرته تروادةإلىقبيل رحيله منجزيرة الفيكْيان . والآن إليك القسم الأخير من هذه الخريدة .

(ج) المجموعة الثالثة أو انتقام أوديسوس[1]

من الأنشودة الثالثة عشرة إلى الرابعة والعشرين :

يحتوى هذا القسم على عودة أوديسوس إلى إيثاكيه ووصوله إلى قصره ثم إعداده الانتقام من الأدعياء الذين ضايقوا زوجته واضطهدوا ابنه وأتلفوا ماله . والفـكرة العامة التى يمـكن أن نبديها هنا عن هذا القسم قبل الخوض فى تفاصيل أناشيده ومناظره هى أن المآسى تقل فيه عنها فى القسم الثانى كثيراً وتحل محلها تحليلات شيقة لشتى العواطف ومختلف الأحاسيس وأن من أهم مايلفت النظر فيه هو الإبطاء فى العمل والإسْهَاب فى المحاورات .

---

(١) رجح النقاد أن هذه المجموعة تلت المجموعة السالفة فى الإنشاء وتقدمت على الأولى فوضعوا لها عنوان الأنشودة الثانية .

إذا كانت الأنشودة الثالثة عشرة رأينا المؤلف يصف لنا إبحار أوديسوس من جزيرة الفِيَكْيان يرافقه عدد من أهلها حتى يصلوا جميعاً إلى « إيثاكيه » فيحمل أولئك الأجانب أوديسوس الذى غلبه النوم و يطرحونه على الشاطئ و يضعون إلى جانبه الهدايا التى حملوها معهم ثم يرتحلون عائدين إلى بلادهم . و إذ ذاك يعاود الحقد القديم بوسيذون فيطلب إلى زوس أن يحول سفينة أولئك الفيكيان إلى صخرة تجاه مرفئهم ، فيجيبه زوس إلى سؤله وتتحول السفينة ثم يعلم الملك بذلك ، فيعلن أنه تحقيق لإنذار قديم نبأ به الوحى ، وأنه لن يتدخل منذ الآن فى شؤون الأجانب ، و بعد ذلك ينتقل بنا المؤلف إلى شاطئ إيثاكيه الذى تركنا أوديسوس نائماً عليه فنراه يستيقظ من نومه ونرى أثينيه تزمله بما يخفيه عن أعين الأدعياء حتى لا يعرفوه فيقتلوه ثم تتقدم إليه فى صورة أحد شبان الرعاة فيسأله أوديسوس أين هو الآن ؟ فينبئه الراعى بأنه فى إيثاكيه . وهنا يعود إلى أوديسوس مكره وتبصره فيخترع قصة يروى فيها سبب نزوله فى هذه الجزيرة فتضحك أثينيه وتداعبه بيدها وتتشكل فى الحال فى صورة سيدة جميلة وتخاطبه بهذه العبارات الرشيقة المرحة :

«أيها المنافق الكذوب الذى لا يشبع من الحيل من ذا الذى يفوقك فى المهارة إلا إلاه؟».

وعلى أثر ذلك تعرفه بنفسها وتنصح له بما يجب عليه فعله وتطلب إليه أن يثبت و يحتمل فى صبر المحنة الأخيرة التى لابد له من المرور بها قبل انتقامه من خصومه فيشكرها أوديسوس و يبدى دهشته من هجرانها إياه كل هذه المدة و يعتب عليها عتباً لطيفاً فتعتذر إليه بأنها لم يكن فى وسعها أن تصادم عمها بوسيذون الذى كان حنقه عليه قد بلغ أشده وتؤكد له أنها لم تغفله ألبتة فى جميع ظروفه وتُبَشِّرُهُ بأنها استعينه منذ الآن بلا قيد وأنه سينتصر على أعدائه فيمتلئ حماسة وقوة و يناجيها قائلاً :

« قفى بالقرب منى وانفخى فى قلبى جرأة عظيمة كما فعلت يوم هدمنا أسوار تروادة الضخمة . إذ وقفت إلى جانبى ممتلئة حماساً يا أثينيه ذات العينين الزرقاوين ، و إذا أعنتنى أيتها الإلاهة الجليلة فإننى أقاتل ثلثمائة محارب » .

وهنا تعده أثينيه بالمعونة . وفى الحال تغير صورته إلى صورة شيخ فانٍ يرتدى ملابس بالية وتأمره أن يذهب لينتظرها عند « أُميوس » راعى خنازيره الأمين ثم تتوجه هى إلى اسپرتا لتحضر تيليماخوس .

و يعلق النقاد على هذه الأنشودة بأنها جميلة رشيقة تشهد لمؤلفها بالروح القصصى ، وفوق ذلك فإن فيها صورة قيمة لعاطفة هى من أسمى العواطف وأنقاها ، وهى حدب أثينيه على أوديسوس بعد عتبه عليها ذلك العتب الرقيق . ومما تمتاز به هذه الأنشودة أيضاً هو أنها تعتبر إعداداً لما سيجىء بعدها من أناشيد .

إذا كانت الأنشودة الرابعة عشرة ألفينا أوديسوس يتوجه إلى الراعى فى صورة متسول حسب أمر أثينيه فيلقاه ذلك الراعى ببشاشة و يقدم إليه الطعام ثم لا يلبث أن يبدى تذمره من أولئك الأدعياء الوقحاء الذين يتلفون ثروة سيده الغائب وسيدته الضعيفة التى لا عون لها ولا سند ، ثم يروى له تفاصيل ما يجرى فى المدينة والقصر ، فيسرى عنه المتسول و يتنبأ له بأن أوديسوس سيعود ، ولكنه يبدى يأساً لا يتزعزع من عودة سيده فيؤكد له الفقير أنه سيعود وأنه مستعد لأن يبقى عنده بلا أكل ولا شرب حتى يعود سيده فيسخر الراعى منه سخرية مريرة و ينبئه بأنه كثيراً ما مر به من الدجالين من أكدوا له عودة سيده دون جدوى ، وأنه لا يرى فائدة من نقل هذه النبوءة إلى سيدته « پينيلُپيا » لأنه شبه واثق من عدم تحققها .

فإذا كانت الأنشودة الخامسة عشرة فنحن فى اسپرتا نشاهد أثينيه تظهر فى الرؤيا لتيليماخوس وتأمره بالسفر حالاً إلى مسقط رأسه ، ولكن لما كان إخفاء عودة والده عنه ضرورياً لنجاح المشروع فإنها تخترع له سبباً يزعجه و يضطره إلى الرحيل فوراً . ومجمل هذا السبب هو أن والد پينيلپيا و إخوتها يريدون إرغامها على الزواج من أحد الأدعياء ، وأنه يخشى أن تحمل ثروته إلى زوجها الجديد لأن المرأة ترغب دائماً فى إنماء ثروة زوجها ، غيرأنها لا يفوتها أن تنبئه بالفخ الذى نصبه له الأدعياء والذى أشار إليه المؤلف فى الأنشودة الرابعة ثم تحذره من الوقوع فيه وتبين له وسيلة الخلاص منه .

وعلى أثر استيقاظ تيليماخوس من النوم يعد العدة للعودة إلى بلاده ثم يبحر مزوداً بهدايا فاخرة من لدن مينيلاؤوس . وفى أثناء مروره بمدينة « پيلوس » يلتقى بالعراف « ثيوكليمينوس » الذى سيلعب فيما بعد دوراً له قيمته فيحمله معه فى سفينته .

ينتقل بنا المؤلف بعد ذلك إلى إيثاكيه حيث نشاهد الراعى يقص على أوديسوس قصة حياته المؤثرة التى يروى فيها أن أشراراً خطفوه فى طفولته وباعوه لوالدة أوديسوس . وأخيراً يشهدنا المؤلف نزول تيليماخوس إلى مرفأ الجزيرة فنراه على أثر نزوله يرسل أصحابه إلى القصر ويتوجه هو وحده تواً إلى مقر الراعى كما أمرته أثينيه فى الرؤيا .

فإذا كانت الأنشودة السادسة عشرة رأينا تيليماخوس يصل إلى مقر الراعى فيستقبله هذا الأخير بسرور مؤثر ثم يقدم إليه ضيفه الفقير . وبعد ذلك يبعث تيليماخوس الراعى إلى والدته لينبئها سراً بمقدمه . ولا يكاد الراعى ينصرف حتى تأتى أثينيه وتدعو أوديسوس خارج المسكن فتعيد إليه صورته الحقيقية وملابسه الفاخرة وتأمره أن يعرف ابنه بشخصيته . وهنا يرسم لنا المؤلف منظر التعارف فى لوحة فاتنة أخاذة تعتبر من أجمل لوحات الأوديسا . وعلى أثر ذلك يتشاوران فى الوسيلة التى يعدان بها الانتقام من الأدعياء ، فيصور تيليماخوس لوالده صعوبة المهمة التى هما قادمان عليها بقوله : « ليس الأدعياء ياوالدى عشرة أو ضعف العشرة ، وإنما هم أكثر من ذلك كثيراً وسأنبئك بعددهم لكى تحيط به علما : يوجد أولا اثنان وخمسون شاباً من علية « دولِكْيوس » يتبعهم ستة من الخدم ثم أربعة وعشرون من « ساميه » ثم عشرون من شبان الأكيان جاءوا من « زاكنتوس » ثم اثنا عشر شاباً من أشجع أهل « إيثاكيه » وهذا عدا « ميدون الجوال » واثنين من الطهاة » .

وبعد ذلك ينتقل بنا المؤلف إلى المدينة فيرسم لنا منظراً مظلماً نشاهد فيه الأدعياء يغدون ويروحون ويتفاوضون فى قلق واضطراب لأن أصحاب تيليماخوس يصلون فلا يجد أولئك الأدعياء ضحيتهم التى أعدوا لها الفخ ، ومن جهة أخرى نرى پينيلوپيا مرتاعة على ابنها لأنها لاتزال تجهل مصيره . وأخيراً يجىء الراعى فيطمئنها عليه ثم ينام الجميع . وبهذا تنتهى الأنشودة .

ويرى النقاد أن الفرق بين المنظر الأول والمنظر الأخير من هذه الأنشودة بعيد جدا ، فبينما نرى المنظر الأول غاية فى الجمال والسحر ، نرى الثانى مفعماً بالظلمة والاضطراب ، خالياً من الانسجام . ومن الممكن — فيما يرون — أن يكون المنظر الأول من الأوديسا القديمة ، أما الثانى فهو منخفض المستوى إلى حد أنه لايمكن عزوه إلى المؤلف الأول .

أما الأناشيد : السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون فلا تكاد تحوى إجمالا أكثر من عودة أوديسوس إلى قصره فى صورة[1] المتسول واحتماله سخرية الأدعياء، وإهاناتهم المتكررة ، وانتظاره فى حذر ساعة الانتقام .

فإذا كانت الأنشودة السابعة عشرة فنحن نشاهد تيليماخوس يتجه منفرداً إلى القصر فتلقاه والدته لقاء مفعماً بالحنان والسرور ، ثم يروى لها قصة رحلته ، وبعد ذلك ينتقل بنا المؤلف إلى مقر الراعى فيرينا هذا الأخير يتوجه بدوره إلى المدينة يرافقه الشيخ المتسول فيمران فى طريقهما بـ « ميلَنْثيوس » حارس معز أوديسوس الذى يحمله عدم الوفاء لسيده على الميل مع الأدعياء ، فيضرب الشيخ المتسول على فخذه ضربة قاسية ، يسائل أوديسوس على أثرها نفسه عما إذا كان يسحق رأسه فى الحال ، ولكنه يتمالك شعوره ويكظم غيظه ويستمر فى طريقه مع صاحبه حتى يصلا إلى القصر ، فيلمح كلباً عجوزاً قد بلغ منه الإعياء والمرض حداً جعل الجميع يهملونه ولا يعنون بشأنه فيتذكر أنه ، أرجوس ، كلبه الأمين . وفى الحال يعرف الكلب سيده فيحرك ذنبه وأذنيه دون أن يستطيع النهوض والارتماء عليه . وفى نفس اللحظة يلفظ النفس الأخير فتترقرق العبرات فى عينى أوديسوس ، ولكنه يخفى تأثره ويدخل القصر فيجلس على عتبة قاعة المائدة فيأكل مايرسله إليه تيليماخوس . وعلى أثر فراغه من الأكل تجيئه أثينيه وتأمره أن يطوف بجميع الأدعياء يسألهم الإحسان فيعطونه كلهم إلا « أنتينوس » فإنه يضربه بأحد المقاعد فلا يسع أوديسوس إلا أن يلعنه على نحو مايفعل الضعفاء أمام طغيان الأقوياء ، ولكن تيليماخوس يحس بدمه يغلى فى

---

(١) يلاحظ أن أثينيه قد ردت إليه صورة الشيخ المتسول قبيل عودة الراعى من المدينة .

عروقه ولا يملك نفسه إلا بصعوبة وعناء . وإذ تعلم ، پينيلپيا ، بهذا الحادث تتألم لإهانة أجنبي فقير فى قصرها ثم تطلب إلى « أميوس » راعى خنازيرها الأمين أن يحضر هذا الأجنبي إليها لتسرى عنه وتسأله عن أوديسوس فلعله يكون قد سمع فى أسفاره بشىء من أنبائه ، فيبلغ الراعى الشيخ الأجنبي رغبة الملكة فيقبل ذلك ، ولكنه يؤجل الدخول إلى مابعد غروب الشمس لكى لايعرض نفسه لشر الأدعياء . وهنا يعود « أميوس » إلى قطيعه . وبهذا تنتهى الأنشودة السابعة عشرة .

ويعلق النقاد على هذه الأنشودة بأنها قوية تفيض من بين أبياتها الحيوية والحركة والنشاط ، وتشع من عباراتها البساطة والعظمة الطبيعية والفخامة البعيدة عن التعمل . وبالإجمال تلوح عليها أمارات الشعر القديم بأجلى مظاهرها .

فإذا كانت الأنشودة الثامنة عشرة فنحن نشاهد « إيروس » ـ وهو أحد المتسولين ـ يتشاجر مع أوديسوس ويصر على طرده من القصر بحجة أنه يضايقه ، وأن المكان لايتسع لاثنين ، وأنه أولى منه بالبقاء لسابقتيه عليه من جهة ولشبابه وقوته من جهة أخرى فيقترح « أنتينوس » أن يتعارك المتسولان فيبقى منهما من يفوز بالغلبة وينصرف الآخر ، فيقبلان هذا الاقتراح . ولايكاد كل منهما يدنو من صاحبه حتى يهزم « أوديسوس » « إيروس » شر هزيمة . وبعد ذلك توحى أثينيه إلى پينيلپيا أن تدخل إلى قاعة القصر وتنصح لابنها أن يلتزم جانب السلم والهدوء والعقل والاتزان فتفعل ، ولايكاد الأدعياء يرون منها هذا حتى ينبهروا وينخدعوا ويقدموا إليها الهدايا ، فيسر أوديسوس من رؤية زوجته تبدى الترحيب بالأدعياء مع أنها تخفى لهم فى نفسها حقداً عميقاً ويشعر بأنها تشبههم فى مكره ودهائه . وبعد أن تنصرف پينيلپيا يطلب أوديسوس من الخادمات أن يتبعن سيدتهن فَيُطِعْنَهُ إلا إحداهن وهى « ميلَنتو » فإنها تسبه ولا تنصرف إلا بعد أن يهددها بإبلاغ تيليماخوس . وأخيراً يتحرش به أحد الأدعياء ويضربه بالمقعد ولكنه يخطئه بفضل مهارته ثم يجىء تيليماخوس فيعمل على سيادة السكون . وأخيراً يسلم الجميع أنفسهم إلى النوم .

ويرى النقاد أن هذه الأنشودة مفككة منحطة المستوى لايلوح عليها أى أثر من عبقرية الشاعر البدائى ، وإنما هى مقطوعات أضيف بعضها إلى بعض بدون فن ولا دقة . ومن آيات ذلك أن أحد مناظرها يصور لنا أوديسوس أمام رؤية زوجته للمرة الأولى بعد عشرين عاماً دون أن يرسم لنا شعوره وانفعاله ولو فى داخل نفسه . وفوق ذلك فإن أخلاق پينيلپيا فى هذه الأنشودة تختلف عنها فى الأناشيد البدائية .

أما منظر الخادمة التى تسب المتسول فإن القارئ يحس أنه محاكاة سخيفة لمنظر راعى المعز الذى رأيناه يضربه فى الأنشودة السابقة حتى أن اسمها يكاد يكون تحريفاً بسيطاً لاسمه .

وقصارى القول إنها أنشودة عادية خالية من ميزات المواهب الهوميروسية .

وإذا كانت الأنشودة التاسعة عشرة فنحن نشاهد أوديسوس وتيليماخوس فى القصر فى جوف الليل ينقلان الأسلحة من القاعة الكبرى ليضعاها فى حجرة يجهلها الأدعياء حتى لايتمكنوا من استخدامها عندما يبدأ أوديسوس فى الانتقام منهم . ويقترح هذا الأخير أنه إذا دهِشَ أولئك الشبان من نقل الأسلحة فإنه يقال لهم إن الباعث على نقلها سببان أولهما ألا تصدأ من الدخان الذى كانت معرضة له فى مكانها السابق . وثانيهما خشية تيليماخوس أن يتشاجروا فيستعملوها فى حالة الغضب استعمالا يندمون عليه فيما بعد . وبعد أن يفرغا من تأدية هذه المهمة ينسحب تيليماخوس إلى حجرته ليستريح ويبقى أوديسوس لتسأله الملكة كما وعدها فى الأنشودة السابعة عشرة . ولا تكاد پينيلپيا تخلو به حتى تتنسم منه ما عسى أن يكون قد وصل إلى علمه من أخبار أوديسوس . وفى أثناء الحديث يبدو جلياً تعلق هذه الملكة بزوجها الغائب ، وحبها إياه ووفاؤها له إذ تنبئه أن أولئك الشبان الوقحاء يضايقونها منذ عدة أعوام وأنها — لكى تتخلص منهم — ابتكرت حيلة مجملها أن الواجب يقضى عليها بأن تنسج كفناً لـ « لايرتيس » الشيخ القانى والد زوجها المفقود والذى لاعون له فى الحياة، وأنها مستعدة لقبول الزواج متى انتهت من نسج هذا الكفن ، وأخذت تنقض ليلا

ماتنسجه نهاراً ، وظلت على ذلك ثلاثة أعوام حتى وشت بها الخادمات لدى الأدعياء ، فكشف سرها وافتضحت حيلتها ولم يعد لها الآن عذر فى المماطلة ، ولا مناص من قبول ذلك الزواج البغيض لاسيما وأن والدها و إخوتها يدفعونها إليه دفعا .

[الصورة رقم ١٦ هى رسم على وعاء أتيكى ، وهى تمثل پينيلوپيا عاكفة على نسيجها الذى اتخذته حيلة لتدفع بها الأدعياء الذين كانوا يحاولون قهرها على التزوج من أحدهم فاستمهلتهم حتى تنهى هذا النسيج ثم جعلت تنقض ليلا ماتنسجه نهاراً لتكسب الوقت إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا]

وعند ما يسمع الشيخ هذا الحديث يملك عليه التأثر مشاعره و يبتكر لها قصة خيالية يحدثها فيها أنه شقيق ملك كريتيه وأنه رأى أوديسوس منذ عشرين عاماً حين كان ذاهباً إلى تروادة ، و بيان ذلك أن الرياح قد قذفت به إلى جزيرته فأكرمه وضافه اثنى عشر يوماً ، ولكى تؤمن بهذه القصة يصف لها الملابس التى كان يرتديها إذ ذاك . ولما كانت تذكرها جيداً فإنها تؤمن بكل ما يقول . و بعد إنهاء رواية الماضى يحدثها عن المستقبل فيزعم لها أنه سمع أن أوديسوس حى ، وأنه سيعود قريباً ومعه ثروة ضخمة غير أن استحكام اليأس من نفسها يحول بينها و بين الجرأة على الأمل فى عودة زوجها فتأخذ فى ترديد التأوه والأنين ، ولكنها تطلب إلى هذا الشيخ أن يبقى فى القصر يأكل و يشرب دون أن يقوم بعمل ثم

تأمر « أوركليا » مرضع زوجها أن تغسل له رجليه قبل أن ينام ، ولا تكاد هذه المرضع العجوز تنتحى به ناحية وتكشف عن ساقيه حتى ترى فى إحدى ركبتيه أثر جرح كان خنزير برى قد أحدثه فيها منذ زمن بعيد فتبلغ بها شدة الانفعال المباغت حداً يفقدها وعيها ، وتقلب الإناء الذى أعدته لغسل رجليه ولكن أوديسوس يأمرها بالصمت ولولا أن أثينيه أدارت انتباه پينيلوپيا قصداً لصرفها عن الإدراك لفطنت إلى ما حدث ولكنها لا تحس بشىء مما يجرى بالقرب منها . وأخيراً يختتم أوديسوس حديثه معها بترديد الأمل فى عودة زوجها ثم ينصرف إلى حجرة نومه .

فإذا كانت الأنشودة العشرون ، فنحن فى حجرة نوم پينيلوپيا نشاهدها تجهش بالبكاء فى سريرها وتحاول النوم فلا تستطيعه وتعمل على التعلل بالأمل فيغلبها القنوط ثم ينتقل بنا المؤلف إلى غرفة أوديسوس فنراه حائراً يملك عليه القلق كل أحاسيسه ويفكر فيما عسى أن يأتيه به الغد من أحداث فيجافيه النوم ويرافقه الأرق ، وهنا تجىء إليه أثينيه وتؤنبه على تزعزع ثقته ، وتطمئنه على النتيجة ، وتؤكد له الفوز والانتصار فينام . وعند ما يستيقظ فى الصباح يتوسل إلى زوس أن يبعث إليه إشارة تدل على أنه يكلؤه برعايته فيجيب سؤله ويرسل الرعد يجلجل فى السماء رغم أن الوقت صحو فيغتبط أوديسوس بذلك ويتجه فوراً إلى «أميوس» الراعى الذى يصل فى هذه اللحظة . وبينما هما يتحدثان إذ يصل « فِلوَتيوس » رئيس الرعاة الذى هو الآخر مثال من أمثلة الوفاء لسيده والذى يفيض من عباراته موطد الأمل فى عودته . وعلى أثر ذلك يقصد الأدعياء إلى القصر ويجلسون إلى مائدة الإفطار . وإذ ذاك يطلب تيليماخوس إلى الشيخ أن ينتحى زاوية ويقدم إليه شيئاً من الطعام ، غير أنه لا يكاد يفعل حتى يتقدم إليهما « كتيسيپوس » أحد الأدعياء وينهر الشيخ ويرميه برجل ثور فيتفاداها بمهارة البطل المتمرن . وإذ ذاك تجىء أثينيه وتحدث فى الحال اضطراباً فى رؤوس جميع الأدعياء فيأخذون فى القهقهة على المائدة من غير سبب حتى تسيل الدموع من أعينهم . وفى الحال يهض العراف « ثِكليمينوس » ويتنبأ فى شعر مأساوى مروع بموت الأدعياء فى العاجل القريب .

ويروى النقاد أن هذه الأنشودة لا تخلو من مناظر جميلة فاتنة وإن كان فيها شيء من التفكك يؤذن بأن بعض مناظرها من الأوديسا القديمة والبعض الآخر من وضع العصور المتأخرة .

فإذا كانت الأنشودة الحادية والعشرون فنحن نشاهد أثينيه توحى إلى پينيلپيا أن تنقب عن قوس أو يسوس الكبرى وتحضرها وتقدمها إلى الأدعياء قائلة لهم إن أيكم يرمى بها سهما تخترق حديد اثنتى عشرة بلطة هو الذى سيتزوج منى فتفعل ما تأمرها به الإلاهة ويقبل الأدعياء هذا الشرط ، وهنا يتقدم تيليماخوس ويعلن أنه سيساهم فى هذا الرهان ، وأنه إذا استطاع تحقيق ذلك الغرض فإنه يحول بين أمه وبين الزواج ، غير أنه لا يقوى على شد وتر القوس فضلاً عن الرمى بها فيتخلى عن المكان لـ « ليوديس » أحد الأدعياء ولكنه لايمتاز عن تيليماخوس فى شد الوتر بأية ميزة ، فينسحب ويعلن أنه لن يتزوج پينيلپيا أحد ما دام هذا الشرط قائماً . وإذ ذاك يقترح « أنتينوؤوس » أن يدهن الوتر بشحم محمى فيجاب إلى اقتراحه ثم يحاول الجميع شده واحداً بعد واحد ولكن محاولتهم تضيع عبثاً ولا يبقى منهم إلا « أنتينوؤوس » و « أوريماخوس » وهما أشجع الأدعياء جميعاً . وقبل أن يبدأ هذان الدعيان محاولتهما يجذب أوديسوس راعييه : « فِلوَتيوس » و « أومايوس » إلى خارج القاعة ، وبعد أن يستوثق مرة أخرى من وفائهما يعرفهما نفسه على عجل فيستطاران فرحًا ويقسمان له على المساعدة ، بل على الفدائية . وإذ ذاك يأمر « فِلوَتيوس » بإغلاق جميع الأبواب وبمراقبة الخادمات والعمل على تحقيق السكينة عندما يسمع سكان القصر أنين الجرحى وحشرجة المحتضرين ثم يعود هو و « أومايوس » إلى القاعة فيجدان «أوريماخوس » قائماً بمحاولته شد الوتر عبثاً . وهنا يقترح « أنتينوؤوس » أن تؤجل هذه المحاولات إلى الغد ، لأن اليوم هو عيد « أپولون » وفيه لا يقوى أحد أيا كان شأنه على شد وتر . وفى هذه اللحظة يطلب الشيخ المتسول أن يسمح له بمحاولة شده ، فيثور الأدعياء وينبذون هذه الفكرة لا خوفاً من أن يتزوج هذا السائل من پينيلپيا ، ولكن حرصاً على سمعتهم من الإهانة إذا استطاع شد الوتر ، غير أن پينيلپيا تطلب أن يجاب إلى سؤله ،

لأنه ليس متسولاً ، وإنما هو من عنصر سام وتعدهم بأنه لو وفق لا كتفت بإعطائه شيئاً من المنح والهدايا فيؤيد تيليماخوس والدته فى هذا الاقتراح ويطلب إليها أن تصعد إلى جناحها مع خادماتها ، لأنه فهم أن ساعة البطش قد حانت فتذعن پينيلوپيا وتنسحب . وهنا يتناول « أومايوس » القوس ويضعها بين يدى أوديسوس رغم احتجاج الأدعياء ثم يسر إلى المرضع العجوز أن تغلق أبواب القصر الداخلية وألا يقلقن إذا سمعن أنيناً . وفى أثناء ذلك يقبض أوديسوس على القوس ويشد الوتر فى سهولة ويضع فيها سهماً ثم يرميها فتخترق جميع الحدائد التى هى غرض الرهان فيستولى على الأدعياء ألم مبرح ويمتقع لونهم . وبعد ذلك يدعو « أوديسوس » « تيليماخوس » بإشارة فيقف إلى جانبه وبيده سيف وحربة .

فإذا كانت الأنشودة الثانية والعشرون فنحن نرى أوديسوس يقف ، وابنه إلى جانبه ويضع عند قدميه كومة من السهام ثم ينزع الملابس البالية ويصيح قائلاً : « الآن وقد انتهى الاختبار ، فأنا سأسدد سهمى إلى هدف لم يمسه أى إنسان بعد » . وعلى أثر ذلك يصوب السهم الأول إلى « أنتينوؤوس » فيخترق عنقه ويتبع هذا بتقديمه نفسه إلى الأدعياء فترتعد فرائصهم ويسودهم القلق والاضطراب ، ويحاول أوريماخوس أن يستعطفه ويهدئه فيعلن بلسان الجميع أن ما مضى كان كله ناشئاً من تحريض أنتينوؤوس ، وأن الجميع على أتم استعداد للانسحاب فوراً ولتعويضه كل ما أفقدوه إياه أثناء غيابه ، غير أنهم يتحققون من تصميم أوديسوس على إفنائهم فيلتجئون إلى آخر وسيلة وهى محاولة الدفاع عن أنفسهم ثم يستخدمون ميلَنْتيوس راعى المعز الخائن فى إحضار أسلحة لهم من داخل القصر ، فيأخذ فى تأدية مهمته ويحضر لهم بعض هذه الأسلحة ولكن أوديسوس يتنبه لذلك فيبعث إليه « أومايوس » وفِلوَتيوس راعييه الأمينين فيربطانه فى عمود ثم يعودان حالا فيقفان إلى جانب سيدهما ليساهما معه فى حظه أيا كان . وإذ ذاك تجىء أثينيه فى صورة منتور وتأخذ فى تشجيع أوديسوس ثم لا تلبث أن تتحول إلى صورة طائر وتقف على خشبة بارزة فى السقف لتشاهد المعركة وتشترك فيها فيشرع أوديسوس ورفاقه الثلاثة فى طعن الأدعياء بحرابهم. أما مهمة أثينيه فهى تحويل ضربات الأدعياء عن أوديسوس وأنصاره إلى الفراغ وتستمر

المعركة على هذا النحو حتى لا يبقى فى قاعة القصر إلا «ميدون» و «فِمْيوس». الشاعران و بعد انتهاء المعركة يرسم لنا المؤلف جزع «أُورِكْليا» المرضع العجوز من منظر سيدها ملطخا بالدماء، محوطا بالجثث، وغبطتها وسعادتها بعودته وانتقامه من أعدائه. و بعد ذلك يطلب إليها أوديسوس أن تعين له الخادمات الخائنات فتدله على اثنتى عشرة خادمة فيدعوهن و يكلفهن أو لا تنظيف القصر. وعلى أثر انتهائهن من هـذه المهمة يأمر تيليماخوس والراعيين بقتلهن فيشنقونهن ثم يجىء دور «ميلَنْثيوس» فيأمر بالتمثيل به: فتقطع أذناه وأنفه وأطرافه. وأخيراً و بعد تطهير القصر بالكبريت يرسل المرضع لتستدعى پينيلوپيا والخادمات الأمينات، و بهذا تنتهى الأنشودة.

فإذا كانت الأنشودة الثالثة والعشرون فنحن فى حجرة پينيلوپيا نشاهد المرضع توقظها من نوم عميق كانت أثينيه قد ألقته عليها لكى لا تحس بشىء مما يقع بالقرب منها. و إذ تستيقظ تنبئها بكل ما حدث فلا تصدق منه شيئاً ولا تسمح لخيالها بقبول الأمل فى عودة زوجها، وتؤكد للمرضع أنه إذا كان الأدعياء قد قتلوا حقاً، فإن أحد الآلهة قد قتلهم لعسفهم ووقاحتهم، أما زوجها فلا يمكن أن يكون قد عاد، ولكنها رغم هذا تنزل لتستوثق من رواية المرضع. و إذ تقع عينها على أوديسوس تنكره، لأنه لا يزال فى صورة الشيخ المتسول وعليه ملابسه، فلا يسع تيليماخوس إلا أن يؤنبها فى أسلوب جاف و يأخذ عليها قسوتها نحو زوجها و يصف قلبها بالتحجر، وعاطفتها بالشذوذ عن الإنسانية. وهنا تجيبه فى هدوء وتبصر قائلة إنه إذا كان هو، فإنها ستعرفه حينما ينفردان بوساطة علائم يجهلها كل من عداهما فيبتسم أوديسوس اغتباطاً بتبصر زوجته و يوافق على إجراء هذا الاختبار، غير أنه يريد قبل ذلك أن يأخذ الحيطة بإزاء ذيوع موت الأدعياء حتى لا تتمكن أسرهم من تأليب المدينة عليه. و بعد أن يتم له ما يريد يدخل الحمام فيغتسل و يتزين ثم ترد إليه أثينيه صورته وتلقى على وجهه الرشاقة والمهابة ولكن پينيلوپيا لا تزال تشك فتنصب له شركاً يعينها على كشف الحقيقة، وهو أنها تأمر المرضع بنقل سرير زوجها إلى خارج الحجرة، وغايتها من هذا أن تتبين ما إذا كان هذا الرجل يعرف سر السرير أو يجهله لأن أوديسوس هو

الذى صنعه ووضع له مسامير خفية تجعل نقله غير ممكن فلا تكاد توجه هذا الأمر إلى المرضع حتى يصيح أوديسوس قائلاً : كيف تستطيع نقل سريرى الذى صنعته بيدى وسمرته بطريقة تجعل نقله مستحيلاً فتقتنع تماماً . وهنا يرسم لنا المؤلف لوحة مؤثرة لتعارف الزوجين وانفعالهما ويصور لنا لذة اللقاء بعد طول البعاد . وبعد أن تعتذر إليه عن إبطائها فى معرفته يجلسان معاً ويتحدثان عن محنهما الماضية وما لقى كل منهما بعيداً عن صاحبه من كوارث ونكبات ، ومصاعب وعقبات ، ويرسمان مرارة الفرقة وما تحدثه فى القلب من لوعة وحرقة . وفى صباح اليوم التالى يصور لنا المؤلف استعداد أوديسوس أولاً لزيارة والده الشيخ ثم عزمه على زيارة حقوله ومراعيه وقطعانه .

فإذا كانت الأنشودة الرابعة والعشرون فإن المؤلف ينتقل بنا إلى مملكة الموتى حيث نشاهد شبحى أخيلوس وأجاممنون يتحدثان عن موتهما ، وإنهما لكذلك إذ تفد عليهما أرواح الأدعياء يقودها « هرميس » فيعرف أجاممنون أحدهم وهو « أنفيميذون » فيسأله عما حدث فيروى له القصة من أولها إلى آخرها . وعند ما يسمع أجاممنون وصف أمانة پينيلوپيا ووفائها لزوجها تمتلىء نفسه حسرة ويسارع إلى الموازنة بينها وبين زوجته الآثمة ويندب حظه ويصور تعاسته ، وبعد ذلك ينتقل بنا المؤلف إلى منزل « لا إرتيس » حيث يشهدنا لقاءه ابنه فى منظر ساحر مؤثر تبرز فيه العاطفة الأبوية والحنان الذى زادته الشيخوخة ونماه الفراق الطويل . ولا يكاد الوالد الفانى ينعم برأى ولده العزيز حتى ينمى إليهما نبأ قاتم مؤداه أن أقارب الأدعياء قد قدموا مدججين بالسلاح للانتقام لأبنائهم . وعند ما يسمع أوديسوس هذا النبأ ينهض على الفور ويسرع إلى لقائهم تؤيده أثينيه ويشد أزره ولده وينا صره ستة من خدمه الأوفياء . ولا تكاد المعركة تحتدم حتى يتقهقر أولئك الخصوم ويطاردهم أوديسوس ، وهنا يتدخل زوس فيأمر أثينيه بإجراء الصلح بين الفريقين فيسود السلام وبهذا تنتهى الأوديسا .

ويرى النقاد أن الأناشيد الحادية والعشرين والثانية والعشرين وأكثر الثالثة والعشرين من الأوديسا القديمة لأنها تؤلف وحدة متماسكة منسجمة ، أما ما أضيف بعد ذلك من مناظر رواية الحوادث الماضية وإعداد حجرة النوم واستعداد أوديسوس فى صباح اليوم التالى لزيارة والده فهو من وضع العصور المتأخرة . وكذلك الأنشودة الرابعة والعشرون كلها مضافة ، وليس ذلك الرأى من ابتكار النقد الحديث ، وإنما كان نقاد العصر الاسكندرى يعتقدون أن الأوديسا القديمة تنتهى بمنظر تعارف أوديسوس و پينيلپيا ، وأن كل مابعد ذلك مضاف . ويلاحظ المحدثون أن عودة أوديسوس إلى مملكة الموتى فى الأنشودة الأخيرة هى محاكاة تافهة سخيفة لزيارته الأولى لتلك المملكة .